10me Année No. 490

Lundi - 23 - 11 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٩٠ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ ذو القعدة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

صفحة		
١٠٧٣	دفاع عن البلاغة ... ... :	أحمد حسن الزيات ... ...
١٠٧٥	الشوقيات ... ... :	الدكتور زكي مبارك ... ...
١٠٧٨	الملك الظاهر . . ... :	الأستاذ أبي أسامة ... ...
١٠٨٠	« حديث عيسى بن هشام » :	الأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم
١٠٨٢	الدبابات أمام الدبت . . :	الأستاذ (ذ س) ... ...
١٠٨٥	الأزهر والاصلاح ... :	الأستاذ محمود الشرقاوي ...
١٠٨٧	المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم ... ... :	المستشرق « إدورد وليم لين » بقلم الأستاذ عدلي طاهر نور
١٠٨٩	من خمر الزوال [قصيدة] :	الأستاذ محمود حسن اسماعيل
١٠٩١	أرقام وأسفار ... ... :	الدكتور زكي مبارك ... ...
١٠٩١	في الجنة ... . :	الأستاذ محمد عبد الفتاح المقدم
١٠٩٢	حول اختلاف القراءات في القرآن . . .. :	الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
١٠٩٢	حول اختلاف القراءات :	الأستاذ محمد غمان ... . .

٢ ـ دفاع عن البلاغة

البلاغة بين الطبع والصنعة

البلاغة كسائر الفنون طبيعة موهوبة لا صناعة مكسوبة. فمن حاول أن ينالها بإعداد الآلة وإدمان المزاولة وطول العلاج وهو لا يجد أصلها في فطرته، أضاع جهده ووقته فيما لا رجع منه ولا طائل فيه. قال أبو العباس المبرد: « إنه ليس أحد في الخافقين من يختلج في نفسه مسألة إلا لقيني بها وأعدني لها؛ فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لا يخفى عليّ مشتبه من الشعر والنحو والخطب والرسائل، ولربما احتجت إلى اعتذار عن فلتة، أو التماس حاجة، فأجمل المعنى الذي أقصده نصب عيني، ثم لا أجد سبيلاً إلى التعبير عنه بيد ولا لسان. ولقد بلغني أن عبيد الله ابن سليمان ذكرني بجميل فحاولت أن أكتب إليه رقعة أشكره فيها، فأتعبت نفسي يوماً في ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها. وكنت أحاول الإفصاح عما في ضميري فينصرف لساني إلى غيره »

ذلك اعتراف صادق من أبي العباس يقصد به توجيه الحائر إلى التوفر على ما يحسن، وتنبيه المغرور إلى الانصراف عما يسيء

الناس كلهم يتكلمون ولكنهم ليسوا جميعاً خطباء؛ والمتعلمون كلهم يكتبون ولكنهم لا يستطيعون أن يكونوا كلهم بلغاء؛ والرسم مادة مقررة في مدارس الدنيا ولكنها لا تخرّج

فى كل حقبة غير رفائيل واحد . والموسيقيون ألوف فى كل أمة ، ولكن الذين يستطيعون أن يؤلفوا رواية غنائية نفر قليل .

والمعضل من الأمر تمرُّف الطبع الأدبى فى صاحبه إبّان التنشئة ، فقد تكمن العبقرية فى الفنان حتى يبلغ الأربعين ، كما حدث للنابغة الذبيانى فى الشعر ، ولجان جاك روسو فى الكتابة . وقد يجرُّ كون الطبع فى سن التوجيه إلى الخطأ فى استغلال المواهب ؛ فيتعلم المرء علماً أو يعمل عملاً وهو بطبعه مخلوق لغيره ؛ فبيير لوتى خُلق أديباً كاتباً ولكنه دُفع إلى البحارة[1] ؛ وعلى طه خلق أديباً شاعراً ولكنه دفع إلى الهندسة ، وحافظ عفيفى خلق مصلحاً اجتماعياً ولكنه دفع إلى الطب ؛ فلو أن هؤلاء العباقرة نُشِّئوا على مقتضى الطبع والاستعداد منذ الحداثة لكان نبوغهم أتم ونفعهم أعم ونتاجهم أوفر

وقد يُخدع المرء عن طبعه فيظن نفسه كاتباً وهو معلم ، أو فيلسوفاً وهو صوفى ، أو مؤرخاً وهو صحفى ، أو شاعراً وهو عروضى ، أو ناقداً وهو هجاء ، أو قصصياً وهو حكاء ، أو وصافاً وهو محلل

وللخيال إذا امتد سراب يخدع الظمآن إلى المجد والشهرة ؛ فقد يستهوى الناشئ وميض الهالة من حول العبقرية الفنانة فيسول له الغرور أن يقرض الشعر ، أو يقص القصص ، أو يدير الحوار ، أو ينشئ المقالة ، فينبهر[2] فى أول الشوط وينبتّ فى بداية الطريق .

قد تحب الأدب ككل إنسان ؛ ولكن حبك الشىء ليس دليلاً على قوة استعدادك له ، فقد يكون ذلك من تأثير البيئة وتغرير الخلاط . وربما كانت نقائص المرء أحب خلاله إلى نفسه ؛ فالإمام مالك بن أنس دفعته بيئة المدينة اللاهية إلى أن يتتبّع فى صباه المغنين يأخذ عنهم حتى صرفته أمه عن الغناء إلى الفقه فصار فيه إمام الأئمة

* * *

على أن الطبع والقريحة لا يغنيان فى البلاغة عن الفن . وربما كان فيهما ذلك الغناء فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام حين كانت الأهواء صادقة والأخلاق صريحة والحياة بسيطة ؛ أما وقد زُيِّف الصادق وشِيب الصريح ورُكِّب البسيط ، فلا بد من حذق الصناعة وهدى القواعد لمعالجة ذلك ، كالمسايفة[1] ، كانت فى أول أمرها سهلة يستعمل فيها السائف سيفه كما يستعمل الراكز يده ؛ فلما كثرت فيها الحيل وتعددت الوجوه أصبحت فنًّا له قواعد وأصول لا بد أن يراعيها السايف وإلا هلك . وإذا كانت القواعد هى النتائج التى استنبطتها الأذهان القوية من وسائل الطبيعة وطرقها على طول القرون ، فإن الشأن فى البلاغة يجب أن يكون هو الشأن فى سائر الفنون التى اخترعتها الغريزة وأصلحتها التجربة ورقاها المران

فعلم البيان إذن هو الجزء النظرى من فن الإقناع والبلاغة هى الجزء العملى منه : هو ينهج الطرق وهى تسلكها ، وهو يعين الوسائل وهى تملكها ، وهو يرشد إلى الينبوع وهى تغترف منه

إن القواعد البيانية لم يضعها الواضعون إلا بعد أن رجعوا إلى أصول الأشياء ودرسوا علاقتها بالنفس والحس ، وعرفوا نتائج هذه العلائق من الألم واللذة ، ثم استخلصوا من تجارب العصور المستنيرة النتائج الصحيحة ، ثم صاغوها قواعد وقالوا إنها أمثل الطرق لإحسان العمل دون أن يخضعوا قريحتك لها ، ولا أن يسمحوا لهواك بالخروج عنها ، فإن بين الاستبداد والفوضى نظاماً هو أحق أن يؤثر ويتبع

كذلك الذوق — وهو أداة الجمال كما أن العقل أداة الحق — لا يمكن أن يكون بغير القواعد طريقاً مأمونة إلى عمل من أعمال الأدب ؛ فإنه موهبة طبيعية تختلف فى الناس وفى الأجناس ، وتحتاج إلى المران بالدرس والعادة ، وليس له ما للعقل من سلطان واطمئنان وثبوت . وإنك لتجد فى الناس العقل المطلق المستقل الذى لا يختلف ولا يتغير ، لأن هناك حقيقة مستقلة تتميز بالوضوح والخلوص ؛ ولكنك لا تجد مهما استقصيت واستقريت ذلك الذوق المطلق المستقل الذى لا يختلف باختلاف الألوان والأزمان والأمكنة . وفى الأقوال المأثورة : لا جدال فى الذوق . لذلك لا نستطيع أن نطلقه فى الأدب حتى لا تكون الفوضى ، ولا نقيده بالقواعد حتى لا يكون الجمود .

« للكلام بقية »

أحمد حسن الزيات

(١) البحارة : مصدر لا يأباه القياس وضعناه ليؤدى معنى العمل فى الأسطول الحربى ، وهو معنى جديد لا يؤديه لفظ الملاحة

(٢) انبهر : انقطع نفسه وتتابع من الاعياء

(١) المسايفة : تضارب القوم بالسيوف